

لم تكن تبحث عن رفاهية أو حياة مثالية، بل كانت تتمنى فقط أن تعيش بسلام، دون عنف يلاحقها ...



بسطوة تقتل الحقيقة

لم تكن تبحث عن رفاهية أو حياة مثالية، بل كانت تتمنى فقط أن تعيش بسلام، دون عنف يلاحقها أو تصرفات جارحة تجعلها تعيد حساباتها كل مرة، كانت حياتها قبل الزواج مريحة، قبل أن تصبح غزة نقطة التحول الحاسمة التي قادتها إلى واقع جديد لا يشبه ما عرفته سابقاً.

قبل عشرين عامًا، وجدت أمل ذات الـ (٤٥ عامًا) من تلّ الهوى غرب مدينة غزة، نفسها مجبرة على الزواج من أحد أقاربها تحت ضغط الخلافات التي كانت تدور كلما تقدم لها عريس جديد، حيث قبلت بزواج تقليدي محكوم بالعبادات والتقاليد، لكن حياتها الزوجية بدأت بعنف لم يتوقف؛ عنف جسدي ولفظي، وإجبار دائم على الامتثال لرغبات زوجها دون اعتراض "منذ بداية حياتي الزوجية كنت أتعرض للعنف الجسدي واللفظي من زوجي، وإجباري على القبول بما يريدُه" وفق قولها.

عاشت أمل، وهي أم لخمس أبناء أكبرهم ٢٦ عامًا وأصغرهم ١٥ عامًا، سنوات طويلة وسط دائرة مغلقة من الإهانة، قبل أن تقرر التوجه إلى القانون لإنهاء زواج سلبها ذاتها، بعد نفاذ صبرها على تحمل حياة أشبه بحفرة من النيران تلتهم كل من يقترب منها.

وفي عام ٢٠٢٠، تمكنت من الانتصار والانفصال عنه، لتبدأ حياة جديدة اختارتها بإرادتها، حياة مع أبنائها فقط بعيدًا عن الخذلان والقيود، لكن لم تدم تلك الحرية طويلًا، إذ تغير كل شيء مع اندلاع الحرب الإسرائيلية في أكتوبر ٢٠٢٣، بدأت مرحلة جديدة من العنف، لكن هذه المرة كان العنف نفسيًا واقتصاديًا، حيث وجدت نفسها فجأة المسؤولة الوحيدة عن تأمين احتياجات أسرة كاملة، في ظل ظروف معيشية خانقة تفوق قدرتها، وقالت: "أنا انحرمت من أبسط حقوقي، بعد سنوات قليلة من تذوق طعم الحرية، فعدت مقيدة بضوابط مجتمعية خانقة".

تراكمت الأعباء على أمل، فالأوضاع الاقتصادية السيئة، وتخلي طليقها عن مسؤولياته، وغياب أي دعم مباشر، جعلوا الوضع أكثر قسوة، لتعيش واقعًا مأساويًا لا علاقة له بواقعها، وأضافت: "انتظرت ستة أشهر منذ بداية الحرب دون أن أتلقى أي مساعدة من المؤسسات، وكنت أصرف من مالي الخاص"، ما أثقل كاهلها حجم المصروفات الذي أنفقته.

فاختارت أن تكون جزءًا من الحل، وأسست فريقًا شبابيًا إنسانيًا لدعم النازحين، خاصة ممن لا يستطيعون الوصول إلى المؤسسات الإغاثية، فطبيعة عملها تطلبت وجودها في مكان تتوفر فيه الكهرباء والإنترنت، ما دفعها للتوجه يوميًا إلى مستشفى ناصر بخان يونس منذ نزوحها الأخير عام ٢٠٢٥.

وكانت تنتقل أثناء عملها الإغاثي بين خيام النازحين وبيوت المستضيفين، وترصد الخلافات التي تنشأ بين الأزواج والأقارب، فعملت مع فريقها على جمع بيانات النازحين في بيوت أقاربهم، الفئة الأكثر تهميشًا آنذاك لرفعها للمؤسسات، لكنها كانت تسمع دائمًا اتهامات جارحة مثل: "كلكوا بتشحدوا علينا وبتغنوا من ورانا".

وفي أحد الأيام، وبينما كانت تنتظر شحن هاتفها وتبادل أطراف الحديث مع شاب تعتبره كابنها، قدم لها قطعة شوكولاتة، ولكن تلك اللحظة العابرة تحولت إلى أزمة لم تكن تتوقعها، إذ تدخل عناصر الأمن في المستشفى واعتقلوها مع ذلك الشاب، ووجهوا لهما اتهامات باطلة.

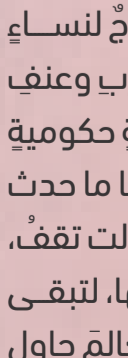
وصفت أمل تفاصيل ما حدث، ولا تزال متأثرة من هول ما وُجّه لها: "بدأ أحد عناصر الأمن بتوجيه التهم المختلفة لنا، وكان أقدرها اتهام الشاب بالتحرش الجنسي بي، وكان مصرًا جدًا على اتهامه، وحاول إجباره على الاعتراف بالتهمة الموجهة إليه عبر الضرب المبرح"، فيما مارس ضغطًا نفسيًا قاسيًا عليها مهددًا إياها بأنها ستكون سبب اعتقاله، وربما مقتله إن استمرت بالدفاع عنه.

حاولت التواصل مع معارفها لإنقاذها من موت محتم باتهام باطل، فلم تجد من يساعدها، فتواصلت مع والدته؛ كي تشهد لصالحه وتبرّته من تهمة الموجهة إليه، في زمن أصبح به قانون الغاب ساريًا.

لكن ما بقي عالقا في ذاكرتها هو الإهانة العلنية، والاتهامات التي وجهها لها عنصر الأمن، ونعته لها بالأفراط جارحة تمس أخلاقها وتربية والديها، وكانت تحاول فقط أن تعامل باحترام، وأن يتحدث إليها كبشر لا كمتهم، ولأنها تحمل ملامح جميلة، تبدو بها أصغر من عمرها بسنوات جعل الأمور تزداد سوءًا.

ورغم أنها عانت لعشرين عامًا من العنف الجسدي واللفظي على يد طليقها، إلا أن العنف النفسي الذي تعرضت له خلال الحرب من جهة يجب عليها حماية المواطنين، كان صدمة لم تستطع تجاوزها حتى يومنا هذا، ولا يزال المشهد يتكرر أمام عينيها كأنه شريط قصير مؤلم، ورغم ما تعرضت له، لم تتوجه لأي جهة قانونية لاستعادة حقها، فالمؤسسات القانونية متوقفة، ولا توجد جهة رسمية قادرة على إنصافها أو محاسبة من مارسوا العنف ضدها.

أمل ليست مجرد امرأة تعرضت للعنف؛ إنها نموذج لنساء كثيرات يجدن أنفسهن محاصرات بين عنف الحرب وعنفي المجتمع، وقبلت بالبوخ عما تعرضت له من جهة حكومية من واجبها الحفاظ على حقوق المواطنين، بينما ما حدث معها عكس ذلك، ورغم كل ما مرت به، ما زالت تقف، تعمل، وتدعم الآخرين، حتى لو لم تجد من يدعمها، لتبقى قصتها شهادة على قوة امرأة لم تهزم، رغم أن العالم حاول كسرها مرارًا.



لتحميل تطبيق أمل للوصول إلى الخدمات

خط الإرشاد والمساعدة المجاني
1800 333 666

لاستقبال التغذية الراجعة والشكاوى
Complain@wac.org.ps